موقف ابن السراج(ت٣١٦هـ) من القراءات القرآنية في كتابه الأصول في النحو

م.د. حيدر فرحان عبـــــد
جامعة واسط – كلية التربية الاساسية

المـقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين صحبه المنتجبين .

أما بعدُ :

يعد ابن السراج (ت ٣١٦هـ) أحد النحاة الذين منحوا القراءات القرآنية قدراً كبيراً من اهتماماتهم وألف في الاحتجاج للقراءات السبع ، وان لم يتم هذا العمل ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إهتمامه بالقراءات القرآنية ومعرفة قدرها ، لذا عزمت أن اختار موقف ابن السراج من القراءات القرآنية مادة بحثي الموسوم بـ ((موقف أبن السراج (ت٣١٦هـ) من القراءات القرآنية في كتابه الأصول في النحو)) وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم بعد المقدمة على تمهيد تناولت فيه نبذه مختصرة عن حياة ابن السراج والتعريف بالقراءات القرآنية .

Abstract

1- We note that Ibn al-Sarraj, like other fanatical hard-liners, adheres to the philosophical norm, he agrees with the readings that agree with the rules and measures and refuses to disagree with them , Describes reading ugly or wrong or anomalies and find despite his protest to the seven readings , However, it has been after repeated reading in the abnormal reading if the rule agreed and measurement towards what we have mentioned in the reading of the verse : ((Or came you surrounded their breasts)) .

2- Ibn al-Sarraj abnormal reading stronger status than non-abnormal has been preceded by Siboih in that he says: ((people have read)) ((thief and the thief)) and ((adulterer and adulterer)), which is from the Arabic saying ((read It is lighter on the tongue, because the letter Y applied Kalta Vtitma skipper in the hearing)) did not mention the reading (Abu Omar): ((These two witches)) because it is contrary to the drawing of the Koran is a reading seven.

3- Through my knowledge of the views of scientists I found that many scientists go to the lack of frequency of readings The following is the opinion of some scientists:

- Zarkashi (d. 749 AH) says: ((The investigation is frequent for the seven imams and the frequency of the Prophet (peace be upon him and his family) it is considered)).

What seems to me that these readings come from dialects and differences in the readings is a difference in dialects and did not know that no one of the Muslims disbelieved anyone for any of this.

The truth is that the Qur'an and the readings are different and this is what al-Zarkashi (d. 794 AH) and (Sayyid al-Khoei in his book Investigations in the Sciences of the Qur'an).

On what I mentioned to you of the strength, but the general abstinence only reading lifting, but was the face in the matter and forbidding the monument, (because the limit of speech is the duty) and read the monument reading Isa bin Omar, and Yahya bin Omar and Omar bin Abi commander and Abu Jaafar and likeness)).

- Reading is famous for them if read by only two readers and this is due to its fame and acquaintance scientists of the two countries.
- We find Ibn al-Sarraj is committed to drawing the Koran in the readings dealt with is not including a reading contrary to the drawing, and this when directing readings in the verse: (We gave the straight path).
- Ibn al-Sarraj was not considered reading an argument except what was in accordance with the rules of the language and the priest and the established rules. The successor described as ugliness or error or anomaly.
- Ibn al-Sarraj did not distinguish between reading the Koran and reading the readers, but looked at them on the line, whether the reading of the Koran is to read Hafs from Asim.

التمهيد

أولا (ابن السراج وكتابه)

هو ابو بكر محمد بن سهل السري السراج [١] ، من علماء العربية ، نشأ في بغداد وتتلمذ على يد (المبرّد) ولزمه حتى وفاته. [٢] كان موسعيا، تعمق في الثقافات الوافدة على الفكر العربي آنذاك ، رغم اهتمامه وتعمقه في القديم ، وأفادته من الحديث في زمنه وقد تتلمذ على يده السيرافي وأبي علي الفارسي .

له كتب عديدة [٣] ، منها كتاب الأصول في النحو ، وهو غاية من الشرف والفائدة ، فقد جمع فيه أصول العربية معتمداً على كتاب سيبويه مختصراً مسائله مرتباً أبوابه أحسن ترتيب ، معولاً على مسائل الاخفش والكوفيين مخالفاً لأصول البصريين وقد قيل في كتاب الأصول:(مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج في أصوله) وقد أشار د. شعبان صلاح أن له كتاباً في القراءات سماه (الاحتجاج للقراءات السبع) لكنه لم يصل إلينا وإن صح هذا فنحن أمام نحوي

عرف القراءات ودرسها بتدبر ، ولكنا نجده قد تأثر كثيراً بموقف استاذه المبرّد ولم تُقدَّر القراءة القرآنية ولم يقدمها على الأنواع الأخرى من مصادر النحو العربي . [٤]

وكذلك ألف في الصرف والاشتقاق والشعر والخط والهجاء والعروض وغيرها .

توفي سنة (٣١٦هـ). [٥]

ثانيا:التعريف بالقراءات القرآنية

القراءات في اللغة :- جمع قراءة ، والقراءة مصدر قولهم : قرأ فلان الكتاب قراءة وقرآناً ، بمعنى تلاه تلاوة [١] وهي في الأصل بمعنى الجمع [٢] قال أبن الاثير (ت٦٠٦هـ) : ((الاصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته)) [٣]

أما في الاصطلاح فتعرف بأنها : ((**علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن**)) [٤]

نشأة القراءات :- بعد أن بينت القراءات القرآنية في اللغة ثم الاصطلاح، لابد هنا من طرح قضية مصدر القراءات ، فهل مصدر القراءات هو الوحي ؟ ، أو اختلاف قراءة المصطفى (صلى لببه عليه وآله وسلم) أو اختلاف تقرير النبي لقراءة المسلمين ، او اختلاف الرواية عن النبي ، أو اللهجات أو الرسم [٥] .

إنَّ القول بأن سبب نشوء القراءات هو الوحي او اختلاف قراءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يتنافى مع منطلقات العقل السليم ، فإن القرآن الذي نزل من عند الله واحد في لفظه وفي أدائه عن الرسول الكريم وإن الاختلاف في القراءات يرجع الى ثلاثة أسباب هي :

١- اختلاف الرواية عن النبي (ص) :-

يلاحظ أن الاختلاف في القراءات بدأ في الواقع في عصر النبي (ص) ذاته ، ولعل سبب نشوء القراءات هو عامل السهو والخطأ بين القرّاء فالقارئ عندما يسمع القراءات عن النبي ، قد يسهو ويخطئ فيهما عندما ينقل هذه القراءة الى الآخر ، او عندما يقرؤها بنفسه فمع ان القراء والكتبة كانوا ينقلون القرآن الكريم من النبي (ص) مباشرةً وكانوا حريصين كل الحرص على أن يحفظوا هذه القراءة وان يدونوها ، ولكن مع ذلك نجد ما يشير الى أن الاختلاف في القراءات حتى بين الأصحاب الذين كانوا على مقربة من النبي (ص) قد تفاوتت فيما بينهم كما يشير الى ذلك أكثر من نص . [٦]

قال الزرقاني (ت١٣٦٧هـ) ((ثم إنَّ الصحابة قد تنوع أخذهم عن الرسول الكريم (ص)

فمنهم من نقل القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من نقل عنه بحرفين ، ومنهم من وسع ، ثم تفرقوا في البلدان ، وهم على هذه الحال فاختلف بسبب ذلك نقل التابعين عنهم ، وأخذ تابعيهم حتى وصل الأمر على هذا النحو الى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يعنون بها وينشرها)) [١]

وقد أقر الرسول جميع هذه الاختلافات تسهيلاً على الأمة (فإنَّ مجرد إقرار المصطفى (ص) لهذا القارئ أو ذاك بقراءة متفاوتة عن القارئ الآخر ، كل ذلك يدلنا أن مسألة ان تقرأ القرآن كما علمنا مسألة متفق عليها ، ولا مجال لأحد أن يشك بذلك البتة ، وهو أمر يتوافق تماماً مع منهج المعصومين في هذا الجانب ، حينما قرروا بأن تقرأ كما علمنا حيث ورد هذا الحديث على لسان أكثر المعصومين منهم الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق (عليهما السلام)) [٢]

أما ما ذهب إليه كثيرون من أن القراءات مصدرها الوحي [٣] اعتماداً على ما في الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :- (إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه) [٤] فليس القرآن نُزل بسبعة أحرف بمعنى سبع قراءات أو أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقرأ سبعة أحرف نزل بها الوحي وإنما ((القرآن بحرف واحد من عند الله ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة)) [٥]

٢- اختلاف اللهجات :

وقد تبنى هذا الرأي عميد الأدب العربي طه حسين (فعدَ اختلاف اللغات من العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لترتل القرآن كما يتلوه النبي (ص) وقبيلة قريش ، عدّ ذلك أساساً لإختلافهم ، فقرأته هذه القبائل كما تتكلم ، فأمالت إذ لم تكن قريش تميل ، ومدّت إذ لم تكن تمتد وقصرت إذ لم تكن تقصر ، وسكنت أو ادغمت ، أو خفت ، أو نقلت إذ لم تكن تسكن ولا تدغم ولا تخص ولا تنقل)[١]

وهو بهذا يريد ان ينتهي الى (اللهجات). [٢]

٣- رسم المصحف :

إنَّ المصحف القرآني قد كتب بدون شكل ونقط ، فبدأ محتمل النطق ينطق بإحدى الحروف المتشابهة في وجوه مختلفة ، فظهرت نتيجة ذلك تعدد القراءات للوصول الى الحقيقة للنطق بتلك الألفاظ المكتوبة ، ضبطاً لقراءة القرآن على وجه الصحة وكما نزل ، لذا تعد القراءات القرآنية اجتهادية فيما احتمل موافقته للصحة من جهة الرسم القرآني أو العربية [٣] وهذا ما أكدته الدكتورة لطيفة عبد الرسول بأن القراءات القرآنية هي

اجتهادية ولا صحة لنسبتها الى النبي الأكرم [٤] (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وهذا الرأي لاقى نقدا من بعض الدارسين وقبولا من الآخر [٥]

المبحث الاول

(القراءات القرآنية عند ابن السراج)

أولاً :- (احتجاجه بالقراءات القرآنية)

احتجاج ابن السراج (ت٣١٦٥هـ) للقراءات القرآنية كبقية النحاة [١] ، فهو يتخذ القراءات حجةً تعضده في للقضايا اللغوية ، وشاهدا في إثبات رأي نحوي ، وربما أشار في أثناء توجيهه القراءة عن اختيار أو استحسان لأخرى ، أو كراهة لثالثة وقد يفتى برأي يعارض قراءة مروية ، وربما عارض القراءة معارضة صحيحة ، (متواترة أو شاذة) ، سواء اتفق في هذا الرأي وذلك المذهب مع سابقيه أم خالفهم ، وهو في الأغلب الأعم يتفق معهم ، وينقل آراءهم ولا يكاد يخالفهم إلاَّ في النزر اليسير الذي لا يكاد يُذكر

ومن استشهاده بالقراءات :

١- تابع ابن السراج المبرّد في قراءة قوله تعالى : ((أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)) [٢] إذ يراه قبيح والأخفش يجيزه على قبحه [٣] وقد تأولوا على ذلك قول الله تعالى ((أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)) وتأويل ذلك عند المبرد ، على الدعاء ، وانه من الباري تعالى واجبٌ عليهم اذ قال :- ((القراءة الصحيحة عند أهل العلم إنما هي (أو جاؤوكم حصرةً صدورهم)) [٤] فذهب المبرّد[٥] وتابعه ابن السراج في معارضته لهذه القراءة لأنها لا توافق القواعد والأقيسة النحوية فلا يجيء الفعل الماضي حالاً إلاَّ اذ اقترن بـ (قد) ظاهرة أو مقدرة ، أما الكوفيون [٦] والأخفش فيجيزون ذلك لكثرة في الاستعمال .

علماً إنَّ القراءة بـ (حصرت) اتفق عليها القراء السبعة ولم يقرأ بهذه القراءة (حصرةً) إلاَّ يعقوب الحضرمي [٧] .

٢- اختار قراءة أبن كثير وحفص في قوله تعالى ((إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)) [٨] بتخفيف (إنَّ) وما بعدها مبتدأ وخبر واللام للتفريق بين النافية والمخففة على رأي البصريين [٩]

اذ قال :- ((والاقيس في (أنَّ) أن يرفع ما يعدها إذا خففت وكان الخليل يقرأ (إن هذا لساحران) فيؤدي خط المصحف ولابد من إدخال اللام على الخبر إذا خففت إنَّ المكسورة تقول (إنِ الزيدان لمنطلقان) وإن لمنطلقان كيلا يلتبس (بإن) التي تكون نفياً في قولك : إن زيد قائم ، نريد : ما زيد قائم وإذا نصب الاسم لم يحتج الى اللام . لأن النصب دليل)) [١]

٣- فرق ابن السراج بين (أي) و(من) الموصوليتين اذ قال :- (إنَّ (أي) تكون معربة مضافة و (من) مبنية غير مضافة . و (من) تكون للمفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، فمن ذلك : ((ومنهم من يستمعون إليكَ)) [٣] و(من كانت أُمُّك) وتقول أيضاً : أيهم كانت أُمَّك زعم الخليل ان بعضهم قرأ : ((ومن تقنت منكُنَّ لله)) [٤] ،وقال الفرزدق:

تعال فأن عاهدتني لا تخونني

نكن مثل من ياذئب يصطحبان[٥]

على تثنية (يصطحبان)حملا على معنى من لأنها كناية عن اثنين وأخبر عنه وعن الذئب فجعله ونفسه بمنزلتهما في الاصطحاب.

فهو في الأمثلة السابقة – وغيرها – يستند الى القراءات القرآنية في تقوية الرأي الذي يذهب إليه ، وهذا السلوك طبيعي من نحوي جعل القراءات موضع دراسته ، وحاول الاحتجاج لها والبرهنة على صحة مسلكها لغوياً .

<u>ثانياً : توجيه القراءات والاحتجاج بها :</u>

إنَّ اهتمام ابن السراج بالقراءات القرآنية وتخصيصه مؤلفاً لهذا الغرض ، وإن لم تسعفه الظروف لإكماله ، ما هو إلا مؤشر على اهتمامه بالقراءات القرآنية وبيان ملائمتها للأساليب اللغوية والمفروض أن يحتج بالقراءات ، لا أن يحتج لها ، ولكن هذا ما ظهر جليّاً في كتابات ابن السراج وابن خالويه والفارسي وابن جني [٥]

وقد يخلو توجيه أبن السراج[١] للقراءات من تفضيل إحدى القراءات على الأخرى نحو الآتي :

١- حكى مذهب المبرّد في رفضه العطف على عاملين ورده على الاخفش استشهاده بقوله تعالى : ((وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [٢]

بنصب (آيات) عطفاً على (آيات) الاولى في قوله تعالى : ((إنَّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين)) ، وذهب ابن السراج مذهب المبرّد في أنَّ العطف على عاملين خطأ في القياس غير مسموع عن العرب [٣] ومن ثم حاول توجيه الآية على غير هذه الوجه فقال: ((فأما من ظنَّ أنَّ من جرَّ (آيات) في الآية المباركة فقد عطف على عاملين فغلط منه ، وانما نظير ذلك قولك : إنَّ في الدار علامةً للمسلمين والبيت علامةً للمؤمنين فإعادة (علامة) تأكيد ، وإنما حسنت الاعادة للتاكيد لما طال الكلام تعاد (إن) إذا طال الكلام

فآيات الأخير هي الاولى ، وانما كانت تكون فيه حجة لو كان الثاني غير الاول حتى يصير خبرين وأما من رفع[٤] وليست (آيات)عنده مكررة للتوكيد فقد عطف أيضاً على عاملين . نصب او رفع لأنه اذا قال ((إنَّ في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين وفي خلقكم وما يُبَثُّ من دابةٍ آياتٌ لقومٍ يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزلَ الله من السماء من رزقٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٌ لقوم يعقلون))[٥] فإذا رفع فقد عطف (آيات) على الابتداء ، واختلافاً على (في) وذلك عاملان ، ولكنه اذ قصد التكرير رفع أو نصب فقد زال العطف على عاملين ، فالعطف على عاملين خطأ في القياس ، غير مسموع من العرب ، ولو جاز العطف على عاملين لجاز على ثلاثة أو اكثر من ذلك ، ولو كان للذي [٦] أجاز العطف على عاملين اي شاهد عليه بلفظ غير مكرر نحو : إن في الدار زيداً والمسجد عمرا ، وعمر وغير زيد لكان ذلك شاهداً على أنه حكى مثله حاك .. ولم يوجد في كلام العرب شائعاً ، فلا ينبغي أن تقبله وتحمل كتاب الله عزو جل عليه))[٧] لقد وجه ابن السراج القراءتين توجيهاً لا يتعارض مع مذهبه ومذهب سلفه في عدم جواز العطف على عاملين ، وبهذا نخلص من مغبة الطعن في القراءة التي وقع فيها المبرّد من قبله [٨] .

ذهب ابن السراج الى أن هاء الضمير اذا سبقت بحرف لين فإن حذف الياء والواو في الوصل أفضل وأكثر مستشهداً بقوله تعالى : ((ونزلناه تنزيلا))[١] و ((إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث))[٢] و ((شروه بثمنٍ بخس))[٣] و ((خذوه فغلوه)) مقرراً أنَّ أحسن القراءتين بحذف ياء الاشباع وواوه مع أن الاتمام عربي ، وهو هنا يردد بالحرف الواحد ما قاله سيبويه دون تبديل أو تغيير .[٤]

٢- ونجده يوجه القراءة[٥] في قوله تعالى ((إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى))[٦] قال : (فأنَّ هي التي فُتحت أن وموضع أن[٧] في قوله تعالى : (وأنك لا تظمأ فيها) وما عملت فيه نصب بأن الأولى كما تقول : إنَّ في الدار لزيدونٌ فحسن اذا قرنت بين التوكيدين ومن قرأ : ((وأنك لا تظمأ)) وجعله مستأنفاً كقولك : إنَّ في الدار زيدوناً ،ومحمد منطلق ، لان الكلام إذا تمم فلك أن تستأنف ما بعده ، فأن قال قائل : من أين قلت في قوله تعالى : ((وإنَّ ربَّك ليحكم.)) [٨] إنَّ الفعل المضارع وقع موقع (حاكم) [٩]

٣- ذهب ابن السراج :- [١٠] الى جواز العطف بالنصب – على المعنى –

على معمول اسم الفاعل ، إذا كان للماضي فيقال مثلاً : هذا سارق زيدٍ وعمراً ومعفي زيدٍ الدرهمَ امسِ وعمراً محتجاً ، وقد استشهد بقوله تعالى : (جاء الليل سكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً)) والمعنى (جعل الليل سكناً) [١١]

وقد ورد في التيسير في القراءات السبع [١٢] : (قد ذكرَ الكوفيون جعل على وزن فعل و (الليل سكناً) ينصب اللام والباقون (جاعل) على وزن (فاعل) وجر اللام من (الليل) ونكتشف من كلمة (الباقين) أن من قرأها (جاعل) هو نافع وابن كثير وابي عمرو وعبد الله بن عامر) .

قال ابن السراج :- [١٣] ((اما لام الامر فنحو قولك : ليقم زيدٌ ، وليقعد عمرو ، ولتقم يا فلان ، تأمر بها كما تأمر النائب وقال عز وجل (فبذلك فلتفرحوا)))[١٤]

ونلحظ الخلط والوهم الذي وقع به ابن السراج هنا فهو لم يميز عن عمدٍ وقصدٍ بين القرآن والقراءة فوصف القراءة بأنها قول الله تعالى .

المبحث الثاني

(معارضته القراءات القرآنية)

يمكن تقسيم المعارضات عند ابن السراج الى معارضتين(خفية و صريحة)، فأما المعارضات الخفية فتمثل في قول ابن السراج بآراء تعارض قراءات قرآنية ، ومما لاشك فيه أنه كان على علمٍ ودراية لما يقول لأنه من المهتمين بالقراءات والاحتجاج بها ، فضلاً عن كونه من الملمين بها ، وعصره كان يزخر بحركة قوية للقراءات أذكاها ابن مجاهد باختباره للقراءات السبع [١].

أولاً :- المعارضة الخفية :

١- لقد وصف استعمال بعض الأفعال بالشذوذ ، علماً أن هذه الأفعال أستعمل بعضاً منها في القراءات القرآنية ، فقد قسم الشاذ على قسمين:[٢].

- **ما شذَّ عن بابه وقياسه** ولم يشذ في استعمال العرب له نحو : استحوذ فأن بابه وقياسه أن يُعل فيقال : استحاذ مثل استقام واستعاذ ، وجميع ما كان على هذا المثال ولكنه جاء على الاصل واستعملته العرب كذلك .
- ما شذَّ عن الاستعمال ولم يشذ عن القياس نحو ماضِ (يدع) ، فأن قياسه وبابه أن يقال : (وَدَعَ – يدَع) إذ لا يكون فعل مستقبل إلا له ماضٍ ولكنهم لم يستعملوه ، ودع استغنى عنه بـ(ترك) فصار قول القائل الذي قال : ودعه شاذاً وهذه أشياء تحفظ [٣] وهذا الكلام معارض لقراءة قوله تعالى : ((ما ودعك ربُك وما قلى)) [٤] بتخفيف (ودع) وهي منسوبة الى عروة بن الزبير [٥]

ذهب ابن السراج الى عدم جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر: ((وأما المخفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر ، ولا يجوز أن تقول :- مررت بك وزيدٍ ، لأن المجرور ليس له اسم منفصل يتقدم ويتأخر كما للمنصوب وكل اسم معطوف عليه فهو يجوز أن يؤخر ويقدم الآخر عليه فلما خالف المجرور سائر الاسماء لم يجز أن يعطف عليه))[٥] ، وقد حكى انه جاء في الشعر [٦]

اليوم قد بت تهجونا و تشتمنا

فأذهب فما بك والأيام من عجب

ونحنُ نعلم معرفة ابن السراج بالقراءات والاحتجاج لها ، فكيف لم يلم بقراءة حمزة بخفض الميم من قوله تعالى : ((وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)) [١]

٢- ذهب ابن السراج الى متابعة سيبويه والمبرّد في فتح الهمزة (إنَّ) بعد (لا جرم) في قوله تعالى : ((لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ)) [٢] فيفتحون همزة (إنَّ) وهو عندي القياس ، لأنَّ (لا) زائدة وجَرَمَ فعل ماضٍ فكأنه قال جرم أن لهم النار فأن جرم عملت فيها ،لأنها فعل ومعناها لقد حق عليهم أن لهم النار ،لقد استحق أن لهم النار ،فجرم قد عملت في أنَ ،سيبويه وابن السراج على أن فتح همزة إنَ واجب بعد (لا جرم)وهو ما جاء في الآيات الخمسة في القراءات السبعة[٣].

وقد جاءت شذوذا بالكسر في قول الباري ((لا جرَمَ أن لهم النار)) [٤]

ذهب أبن السراج الى أن (أي) الموصولة قد توصل بالجملة الاسمية ، وقد يحذف المبتدأ ويؤتى بالخبر ، فإن كانت مضافة حيئذ بنيت على الضم في جميع الاحوال كقولك : اكرم أيهم افضل ، ومن ذلك جمهور القراء : (ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً) [٥] لأنك لو وضعت (الذي) كان مستقبحا ، إنما نقول : الذي قائم فان قلت (الذي قائم كان قبيحاً) [٦] .

ومعلوم أن هناك قراءتين مرويتين يخذف العائد من جملة الصلة وهو مبتدأ وهما : ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً)) [٧] و (تماماً على الذي أحسن) [٨] يرفع (بعوضه) و(أحسن)[٩].

<u>ثانياً :- المعارضة الصريحة :</u>

كان أبن السراج يعتمد على قبول أو رفض القراءات أغلب الاحيان على موافقة القراءة للقواعد النحوية، او تغليط القراء والطعن في عربيتهم أو الطعن في القارئ نفسه وكأنه بذلك يعتد بأقوال النحاة في مقابلة القراءات المروية ومن ذلك :[١]

١- تابع أبن السراج مذهب سيبويه في الحكم على قراءة النصب في (سواء) من قوله تعالى : ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ))[٢] بأنها لغةٌ ضعيفة ونقل كلام سيبويه في هذا المجال نصاً ((واعلم أنَّ ما جرى نعتاً على نكرة فانه منصوب في المعرفة على الحال وذلك قولك : مررتُ بزيدٍ حسنا أخوه ، وسررت بعبد الله مرافقَك ، وما كان في النكرة رفعاً غير صفةٍ ، فهو في المعرفة رفع ، وذلك قوله تعالى :- ((أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم)) لأنك تقول : مررت برجلٍ سواءً محياه ومماته ، وتقول مررت بعبد الله خيرُ منه أخوه . ومن أجرى هذا على الأول في النكرة نصبه هنا على الحال ، فقال مررت بعبد الله خيراً منه أخوه وهي لغة رديئة))[٣] .

٢- ذهب أبن السراج الى أن الفعل الماضي لا يمكن أن يقع حالاً إلا مقترناً بـ (قد) ظاهرة أو مضمرة ، فإذا وردت جملة فعلها فعل ماضٍ وافقه موقع الحال دون اقتران بقد فلا بد من تقديرها[٤] ولا يصح أن تقول : إنَّ افضلهم الضارب أخاه كان صالحاً فنجعل (كان صالحاً) صفة لأخيه ، وهو معرفة ، فأن قال قائل :- فأنها نكرة مثلها فأجرِ ذلك على أن تجعله حالاً فذاك قبيح ، والاخفش يقره على قبحه ، وقد أولوا قوله تعالى : ((أو جاؤوكم حصرةً صدورهم)) فقد قبح ورود جملة الماضي حالاً دون قد ، ونقله إجازة الاخفش واعتراض أبي العباس المبرّد على هذا[٥] وتخريجه القراءة المتواترة كما أنه دليل على تفضيل قراءة على أخرى لمواءمتها القياس النحوي[٦] وقراءة (حصرةً) ليعقوب وافقه الحسن[٧]

الخاتمة :

١- نلاحظ أن أبن السراج كسائر النحاة المتعصبين المتشددين يلتزم بالمعيارية الفلسفية فهو يوافق القراءات التي توافق القواعد والأقيسة ويرفض ما اختلف معها ، فيصف القراءة بالقبيح أو الخطأ أو الشذوذ ونجد رغم احتجاجه للقراءات السبعة ، إلا أنه قد بعد من القراءة المتواترة الى القراءة الشاذه إذا وافقت القاعدة والقياس نحو ما ذكرناه في قراءة قوله تعالى : ((أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ)). [١]

٢- يعد أبن السراج القراءة الشاذة أقوى منزلة من غير الشاذة وقد سبقه سيبويه في

ذلك إذ يقول : ((وقد قرأ أناس)) ((السارقة والسارق)) [٢] و ((الزانية والزاني)) وهو من العربية اذ يقول ((من يقرأ بالصاد إنها أخف على اللسان ، لان الصاد حرف مطبق كالطاء فيئتما ربان فيحسنان في السمع)) [٣] ولم يذكر قراءة (أبي عمر) : ((إنَّ هذين الساحران)) [٤] لأنها مخالفة لرسم المصحف وهي قراءة سبعية .

٣- ومن خلال اطلاعي على آراء العلماء وجدتُ أن كثيراً من العلماء يذهب الى عدم تواتر القراءات وفيما يأتي رأي بعض العلماء:

- الزركشي (ت٧٩٤هـ) يقول : ((والتحقيق إنها متواترة عن الأئمة السبعة وأما تواترها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ففيه نظر)) [٦]

والذي يبدو لي أن هذه القراءات مصدرها اللهجات والاختلاف في القراءات هو اختلاف في اللهجات ولم يعرف أن احداً من المسلمين كفرّ أحدا لشيء من هذا.

والحقيقة إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان وهذا ما ذهب اليه الزركشي (ت٧٩٤هـ) و (السيد الخوئي في كتابه مباحث في علوم القرآن). [٧]

على ما ذكرت لك من القوة ، ولكن ابت العامة إلاّ القراءة بالرفع وانما كان الوجه في الأمر والنهي النصب ،(لأن حد الكلام تقديم هو فيه واجب) [١] وقراءة النصب قراءة عيسى بن عمر ، ويحيى بن يعمر وعمر بن ابي قائد وأبي جعفر وشبيه وأبي [٢]

- كان ابن السراج لا يعد القراءة حجة إلا ما كان ماوفقاً لقواعد اللغة والأقيسة والأصول المقررة . فإن خالفتها وصفت بالقبح او الخطأ او الشذوذ .
- لم يمييز أبن السراج بين قراءة المصحف وقراءة القراء بل نظر لهما على خط سواء فقراءة المصحف هي قراءة حفص عن عاصم .
- تكون القراءة مشهورةً لديهم إذا قرأها اثنان من القراء فقط ومرّد هذا الى شهرتها وتعارف علماء البلدين عليها .
- نجد أبن السراج ملتزماً برسم المصحف في القراءات التي عالجها فليس من بينها قراءة مخالفة للرسم ، وهذا عند توجيهه القراءات في قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) [٣]

الهوامش:

١- ينظر أنباه الرواة ١٤٥/٣ ومعجم الأدباء ١٩٧/١٨ وطبقات النحويين ١٠٤ ،ومقدمة محقق الأصول

٢- . ينظر : نزهة الالياء : ٣١٢،ووفيات الأعيان ٤٦٢/٣ .

٣- ينظر طبقات النحو :٤٤.

٤- مواقف النحاة من القراءات القرآنية :٤٥.

٥- تاريخ بغداد ٣١٩/٥ ومعجم الأدباء ١٩٠/١٨ . ومقدمة محقق الأصول.

١- الانصاف في مسائل الخلاف ١٠٣/١ والاصول في النحو ٢٣٥/١.

٢- الاصول في النحو ٢٥٤/١ – ٢٥٥ .

٣- يونس : ٤٣ .

٤- الاحزاب : ٣١ .

٥- ينظر مواقف النحاة / ٢٢٥ .

١- ينظر الاصول في النحو ٧٤/٢ – ٧٥ .

٢- الجاثية : ٥ .

٣- الاصول في النحو ٧٤/٢ – ٧٥ .

٤- الاتحاف:٢٤٠

٥- الجاثية : ٣ – ٤ – ٥ .

٦- الاصول ٧٦/٢ .

٧- المصدر السابق ٧٧/٢ .

٨- مواقف النحاة : ٢٢٦ .

١- الاسراء / ١٠٦ .

٢- الاعراف : ١٧٦ .

٣- الحاقة/ ٣٠ .

٤- ينظر : الاصول في النحو ٢/ ٤١٠ والكتاب ٢٩١/٢ .

٥- مواقف النحاة : ٣٢٨ .

٦- طه / ١١٨ – ١١٩ .

٧- ينظر النشر / ٣٢٢ والبحر المحيط ٢٨/٦ .

٨- النحل : ١٢٤ .

٩- الاصول ١ / ٣٤٣ .

١٠-الاصول ١٥١/١ .

١١-الانعام / ٦٩ .

١٢-التيسير في القراءات السبع / ٧٨ .

١٣-الأصول ١٥١/١.

١٤-يونس:٥٨.

١- الاصول في النحو ٥٧/١ .

٢- مواقف النحاة / ٢٣٢ .

٣- الاصول في النحو ١٥١/١ .

٤- المحتسب ٣٦٤/٢ .

٥- من شوهد سيبويه ، ينظر الكتاب ٣٩٢/١ .

٦- الاصول في النحو ١١٩/٢ .

١- ينظر الاصول ٢٣٣/١ .
٢- الجاثية : ٢١ .
٣- ينظر : الاصول ٢٩/٢ والكتاب ٢٣٣/١ ومواقف النحاة /٢٣٢ .
٤- ينظر : الاصول ٢٦١/١ .
٥- المقتضب ١٢٤/٤ .
٦- الاصول ٣٠٧/١ .
٧- الاتحاف / ١١٦ .